

تأثير قيام دولة فلسطينية على العرب في إسرائيل

مروان درويش*

كيان فلسطيني؟

إن الهدف من كتابة هذا المقال هو فحص مواقف الفلسطينيين والإسرائيليين من إمكان نشوء دولة فلسطينية، أو كيان فلسطيني إلى جانب إسرائيل، واستكشاف ما ينطوي قيام مثل هذا الكيان عليه بالنسبة إلى العرب في إسرائيل، كما يرون الأمرهم أنفسهم.

عموماً، عندما نثير إمكان إنشاء دولة فلسطينية، أو كيان فلسطيني، فإننا نشير إلى سلطة وطنية فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة، وإلى الإقرار بأن "الشعب الفلسطيني يشكل كياناً سياسياً من حق وجوده الجماعي أن يعبر عن نفسه سياسياً كدولة."^(١)

مع ذلك، فإن بداية المفاوضات بين الفلسطينيين والإسرائيليين في مدريد في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٩١، واتفاق أوسلو - أ في أيلول/سبتمبر ١٩٩٣، واتفاق أوسلو - ب في أيلول/سبتمبر ١٩٩٥، تبين أن الفلسطينيين على استعداد للمضي بعيداً على طريق الإجراءات الموقّعة، وذلك بقبول غزة وأريحا كمرحلة أولى، شرط أن يؤدي ذلك إلى الانسحاب الإسرائيلي النهائي من المناطق المحتلة وإلى حقهم في تقرير مصيرهم.

خلال العقد الماضي أصبحت فكرة قيام دولة فلسطينية أكثر قبولا في الوسطين العالمي والفلسطيني. وجاءت ذروة هذه العملية في اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني الذي عقد في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٨، عندما قبلت منظمة التحرير الفلسطينية فكرة إقامة دولة فلسطينية إلى جانب إسرائيل على أساس قراري الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ ورقم ٣٣٨. ووفقاً للمراقبين المطلعين جيداً، فإن نشوء دولة فلسطينية في المناطق المحتلة أصبح شبه حتمي، مهما تطل العملية، أو مهما تكن مؤلّمة ومعقدة.^(٢)

* رئيس دائرة الدراسات الإسرائيلية في مركز البحوث والدراسات الفلسطينية، نابلس.
(١) Yehoshafat Harkabi, "A Policy for the Moment of Truth," *Jerusalem Post International*, February 13, 1988.
(٢) تزامن هذا مع إضراب عام لمدة يوم واحد نفذه العرب في إسرائيل. من أجل مناقشة أوسع،

إن معظم الأبحاث يظهر أن الأغلبية العظمى من العرب في إسرائيل تؤيد إنشاء مثل هذه الدولة. وهكذا، ففي مؤتمر الحزب الشيوعي الإسرائيلي الذي عقد سنة ١٩٩٠، صدر قرار على أساس مبدأ دولتين لشعبين.^(٣) وأعلنت القائمة التقدمية للسلام والحزب الديمقراطي العربي، اللذان تتشكل أغلبية أنصارهما من العرب، موقفاً مشابهاً. كما أن حزب ميرتس وأعضاء عرباً في حزب العمل قبلوا مبدأ حق تقرير المصير للفلسطينيين.

إن تأييد مبدأ حل الدولتين أصبح أكثر انتشاراً بين السكان العرب في إسرائيل بسبب التأثير الذي أحدثته الانتفاضة. فقد أعادت الانتفاضة وقرارات المجلس الوطني الفلسطيني تأكيد وجود "الخط الأخضر" الذي يفصل إسرائيل عن المناطق المحتلة.^(٤) وكشفت عملية المسح التي أُجريت سنة ١٩٨٩، وشملت مواقف العرب في إسرائيل من مسألة إقامة دولة فلسطينية، عن أن تأييد إقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة زاد من ٥٠٪ قبل الانتفاضة إلى ٧٥٪ بعد ذلك بعامين فقط.^(٥) وقد أيدت هذه النتائج دراسةً أكثر توسعاً أُجريت في حزيران/يونيو ١٩٨٩، وبينت أن ٧٩٪ من العرب في إسرائيل يؤيدون إقامة دولة فلسطينية في المناطق المحتلة.^(٦)

وأثبت بعض زعماء الحركة الإسلامية في إسرائيل أنهم الاستثناء الوحيد لهذا النموذج. فقد أبدوا تحفظات شديدة تجاه قرارات المجلس الوطني الفلسطيني، وشككوا في جوهر الإعلان الفلسطيني للاستقلال، الذي تجاهل الطبيعة الإسلامية للدولة الفلسطينية.^(٧)

إن مسألة ما إذا كان يجب إثارة وضع العرب في إسرائيل في مفاوضات السلام قسمت السكان العرب في إسرائيل إلى معسكرين رئيسيين. الأول يمثله الحزب الشيوعي الإسرائيلي والحزب الديمقراطي العربي والأعضاء العرب في حزب العمل وجماعات سياسية وشخصيات عربية تنتمي إلى التيار المركزي في الحياة السياسية العربية. ويعتقد هؤلاء أن مسألة العرب في إسرائيل شأن داخلي لا يجوز إثارته خلال أي مفاوضات سلمية. وشدد المعبرون عن مثل هذا الموقف على أن إثارة مثل هذه المسألة ستؤدي إلى استنفار مشاعر قوى السلام والديمقراطية في إسرائيل ضدهم، وإلى تقوية

انظر: "هأرتس"، ٢٠/١١/١٩٨٨.

(٣) The Israeli Communist Party, *Report of the 21st Congress of the Party*, Central Committee, Tel-Aviv, May 1990.

(٤) "يديעות أحرانوت"، ٢٥/١٢/١٩٨٧.

(٥) Report of the Circle of Arab Academics for Research and Developmental Studies, Jerusalem, December 1989.

(٦) "يديעות أحرانوت"، ٢٤/٨/١٩٨٩. انظر أيضاً:

Jerusalem Post, August 25 and April 8, 1989.

The Nation, December 19, 1988. (٧)

حجج قوى اليمين ضد أي اتفاق سلام. وفي المقابل، فإن الجهات الأكثر تطرفاً، في كل من المناطق المحتلة وإسرائيل، تطالب بأن تكون قضية العرب في إسرائيل جزءاً من المفاوضات. إلا إنها، مع ذلك، تقر بأن لا إسرائيل ولا الفصيل الرئيسي في منظمة التحرير الفلسطينية يشاطرانها هذا الرأي. ومن الواضح أنه خلال التفاوض بشأن إطلاق السجناء السياسيين لم تثر منظمة التحرير الفلسطينية مسألة السجناء من عرب إسرائيل. وقد طالب أعضاء الكنيسة العرب وعائلات السجناء ومنظمات حقوق الإنسان في المجتمع العربي بأن تتناول كل من إسرائيل والسلطة الوطنية الفلسطينية هذه القضية.

التأثيرات المتوقعة للكيان الفلسطيني

على العرب في إسرائيل

أثار النقاش المتنامي بين العرب واليهود في إسرائيل بشأن مستقبل المناطق المحتلة، وبصورة محتومة، قضية مستقبل مواطني إسرائيل العرب. وتسبب إمكان نشوء دولة فلسطينية إلى جانب إسرائيل ب بروز سؤال مركزي يتطلب من عرب إسرائيل الإجابة عنه: هل يظل مستقبلهم في إسرائيل، وما الأثر الذي سيتركه كيان فلسطيني فيهم؟

لقد كان موضوع تأثير الكيان الفلسطيني على المواطنين العرب في إسرائيل محط اهتمام لأعوام كثيرة. وفي دراسة نشرت سنة ١٩٧٧، تعالج رؤية مواطني إسرائيل العرب للمشكلة الفلسطينية والحلول المطروحة لها، يذكر مؤلف الدراسة أن استقصاء أجري آنذاك في أوساط هؤلاء المواطنين أظهر النتائج التالية: قال ٢٩٪ من الذين شملهم الاستقصاء أنهم "بالتأكيد" سينتقلون إلى دولة فلسطينية في حال قيامها إلى جانب إسرائيل. وقال ٣٩٪ منهم أنهم "ربما" ينتقلون إليها، بينما رفض ٣٣٪ منهم مثل هذا الإمكان بشدة.^(٨)

وأشار بحث صدر سنة ١٩٨٩ إلى حدوث تبدل مهم في الموقف من هذه المسألة: فقد أظهر استقصاء أُجري في تلك السنة أن الأغلبية العظمى من عرب إسرائيل (٧٩٪) تفضل البقاء في إسرائيل، وأجاب ١.٤٪ فقط بأنهم سيختارون العيش في الدولة الفلسطينية.^(٩) وكشفت مقابلات أُجريت في تموز/يوليو ١٩٩٥ عن نمط مشابه لهذه النتيجة، إذ رفض كل الذين أُجريت المقابلات معهم فكرة العيش في دولة فلسطينية جديدة. وكما عبر أحدهم مجيباً، "سنبقى هنا، هذا بلدنا؛ لقد ولدنا هنا، ونعيش هنا،

Mark Tessler, "Israel's Arabs and the Palestinian Problem," *The Middle East Journal*, vol. 3, no. 3 (Summer 1977), p. 325.

Report of the Circle of Arab Academics..., op. cit. (٩)

وسنموت هنا.^(١٠) وخلص القول، يبدو جلياً أن ارتباط العرب في إسرائيل بوطنهم قوي إلى درجة يبدو معها أن أي انتقال طوعي بأعداد كبيرة من هؤلاء السكان إلى كيان فلسطيني جديد ناشئ أمر مستبعد جداً، وأن أي خطط لتبادل السكان ستواجه معارضة شديدة.

إن العرب في إسرائيل لا يعتقدون أنهم يشكلون جزءاً من أي تسوية قد يتم التوصل إليها بين الفلسطينيين وإسرائيل. ويعتقدون أن مسألة العرب في إسرائيل لن يتم الخوض فيها خلال مفاوضات السلام. وهم لا يتطلعون إلى الدولة الفلسطينية بصفتها دولتهم، ولا يتوقعون الانتقال للعيش فيها. إن السؤال الذي يبرز، إذاً، هو كيف ستؤثر إقامة الدولة الفلسطينية في النضال من أجل المساواة التي يسعى العرب في إسرائيل لها.

يتفق معظم الباحثين على أن أثر الكيان الفلسطيني على العرب في إسرائيل سيكون إيجابياً، وسيستفيد منه كل من الفلسطينيين والإسرائيليين. ويشير مؤلفو دراسة نشرت سنة ١٩٩٣ إلى أن قيام دولة فلسطينية يقترن، لدى ٧٥٪ من العرب في إسرائيل، بتوقعات كبيرة. وبالنسبة إلى العرب، يبدو أن الدافع الأساسي إلى دعم قيام مثل هذه الدولة يستند إلى الفوائد التي سيجنيها أفراد شعبهم في المناطق المحتلة، لا هم أنفسهم.^(١١) وقد عبّر الذين أُجريت مقابلات معهم في معظمهم عن تفائل كبير أكثر مما عبّروا عن توقعات واقعية فيما يتعلق بكيف ستساهم الدولة الفلسطينية مساهمة ملموسة في تحسين أوضاعهم. لكن من المهم، مع ذلك، الإشارة إلى أن مثل وجهات النظر هذه يفتقر إلى البعد النقدي، وقد يوحي بأن لدى السكان جميعاً توقعات كبيرة.

إن انتهاء الحكم الإسرائيلي في المناطق المحتلة سيكون علامة على انتهاء الاضطهاد والمعاناة والمحنة التي تحملها الفلسطينيون، الذين أُجبروا على العيش تحت الحكم العسكري. كما أنه سيعني تحقق آمالهم الوطنية وجزء من تطلعات الفلسطينيين في إسرائيل. وقد تكون النتيجة، بالنسبة إلى العرب في إسرائيل، انفراجاً كبيراً في التآزم النفسي الناجم عن حقيقة أن "دولتهم"، إسرائيل، تحتل "شعبهم" في الضفة الغربية وقطاع غزة. وهكذا، يبدو أن أي اتفاق سلام يتم التوصل إليه بين إسرائيل والفلسطينيين والدول العربية سيكون ذا أثر هائل في وضع العرب في إسرائيل النفسي والعاطفي. وقد أوضح أحد المراقبين الأمر بقوله: "إننا نعاني نتيجة لمعاناة شعبنا من

(١٠) مقابلة مع فضل نعمانه، رئيس اللجنة الوطنية للدفاع عن الأراضي العربية، تموز/يوليو ١٩٩١.

(١١) Majd Al-Haj, Eliahu Katz and Somhel Shye, "Arabs and Jews Attitude Towards a Palestinian State," *Journal of Conflict Resolution*, vol. 37, no. 4 (December 1993).

هذه المأساة في المناطق. إن وضع نهاية لهذه المعاناة سيؤثر علينا إيجابياً. سوف يضع ذلك حداً لأحزاننا وغضبنا.^(١٢)

من هنا، فإن من المتوقع أن يؤدي إنشاء دولة فلسطينية إلى تقوية الإحساس بالكرامة الوطنية لدى العرب في إسرائيل، وأن يتعزز لديهم الشعور بهويتهم الوطنية كجزء من الشعب الفلسطيني. وقد عبّرت عن وجهة النظر هذه أغلبية الأشخاص بين السكان العرب الذين أجريت مقابلات معهم. وكما قال عضو سابق في الكنيست: "إن الدولة الفلسطينية ستساعد في إزالة الحواجز بين الشعب الواحد، وسوف تشجع على بروز مصالح وتطلعات وطنية متماثلة، وتؤكد الإحساس بالهوية الوطنية الفلسطينية."^(١٣)

ومع توقع العرب في إسرائيل أن يزداد إحساسهم بالهوية الوطنية الفلسطينية قوة، فإن لديهم أيضاً توقعاً واسع الانتشار بأن يؤدي تحقق الحقوق الوطنية الفلسطينية إلى تقوية شعورهم بهويتهم كمواطنين إسرائيليين. وإذا ما حدث ذلك، فإن التعارض القائم حالياً بين المواطنة والهوية الوطنية قد يتم تجاوزه بالتدريج. وهذا بدوره سيشجع عملية الاندماج في إسرائيل ويسرعها. بل يذهب عالم الاجتماع الإسرائيلي، سامي سموحا، إلى حد القول إن العرب سيكونون عندها قادرين على قبول إسرائيل كدولة يهودية. وهذا بالتأكيد وجهة النظر التي تعبر عنها الأحزاب السياسية الرئيسية الناشطة بين الإسرائيليين العرب، مثل الحزب الشيوعي الإسرائيلي والحزب الديمقراطي العربي والقائمة التقدمية للسلام والأعضاء العرب في حزب العمل الإسرائيلي.^(١٤) أما حركة أبناء البلد والحركة الإسلامية، فقد أعربت عن تحفظات شديدة حيال قبول إسرائيل كدولة يهودية. وفي الحقيقة، فإن أحد الأعضاء البارزين في الحزب الديمقراطي العربي يتطلع إلى اليوم الذي يتحقق فيه الاندماج الكامل الرسمي - عندما يخدم مواطنون عرب في إسرائيل في الجيش الإسرائيلي.^(١٥)

وبشأن مسألة ترتبط بهذه النقطة، أعرب عدد من الذين أجريت مقابلات معهم عن اعتقادهم أن إنشاء دولة فلسطينية سيساهم جذرياً في تخفيف التوتر بين العرب

(١٢) مقابلة مع إبراهيم مالك، عضو سابق في الحزب الشيوعي الفلسطيني، ١٥ تموز/يوليو ١٩٩١.

(١٣) مقابلة مع توفيق طوبي، عضو كنيست سابق، ١٧ تموز/يوليو ١٩٩١. انظر أيضاً: نور مصالحة، "الفلسطينيون داخل الخط الأخضر" والاتفاقات الفلسطينية - الإسرائيلية، "مجلة الدراسات الفلسطينية"، العدد ٢٠ (خريف ١٩٩٤)، ص ٦٨ - ٧٦.

(١٤) ساره أوزاكي - لازار وأسعد غانم، "تصور العرب في إسرائيل للسلام" (بالعبرية) (غفغات حيفا، ١٩٩٣)، ص ٢٨.

(١٥) مقابلة مع عبد الوهاب دراوشة، عضو الكنيست عن الحزب الديمقراطي العربي، ١٥ تموز/يوليو ١٩٩١. انظر أيضاً: *Jerusalem Post*, April 25, 1991. من الجدير ملاحظة أن معظم التمييز القانوني يستند إلى حجة عدم أداء الخدمة العسكرية.

واليهود في إسرائيل، وقالوا إن اليهود الإسرائيليين لن ينظروا بعد ذلك إلى العرب كـ "عدو داخلي"، وكـ "طابور خامس خائن". وهكذا، وبحسب هؤلاء، فإن قيام دولة فلسطينية يمكن أن يعجل في إيجاد ثقة متبادلة بين العرب واليهود في إسرائيل.

ويعتقد بعض الأكاديميين الفلسطينيين وبعض الزعماء السياسيين الراديكاليين أن اتفاق أوسلو أضفى شرعية أكبر على اندماج العرب في إسرائيل في المجتمع الإسرائيلي، وأنه دعم عملية أسرلة العرب في إسرائيل، وأضعف المقاومة الوطنية الفلسطينية. وإذا استطاعت إسرائيل الإفادة من هذا التحول الجديد باجتذاب الأكاديميين والمثقفين العرب في إسرائيل، فإن ذلك قد يؤدي إلى تهميش هويتهم ومطالبهم الوطنية.

إن حدث ذلك، ونشأ جو أفضل من التفاهم والقبول المتبادلين في إسرائيل، فإن هذا ربما يساهم في إحداث تحولات بنيوية في وضع العرب في إسرائيل وفي فرصهم المعيشية. وقد أعرب بعض المراقبين عن تفاؤله بأن تؤدي إزالة أسباب التفرقة القائمة حالياً إلى مزيد من المساواة بين العرب واليهود في إسرائيل.

منذ قيام دولة إسرائيل والأقلية العربية ينظر إليها في الأساس من خلال عدسة أمن الدولة، واعتبرت دائماً بمثابة تهديد للأمن. وأدى ذلك إلى عزلها وتعرضها لممارسات تمييز ضدها. وقد يبدأ كثير من هذه الممارسات بالتغير حالما يتوقف تعريف المواطنين العرب في إسرائيل بأنهم خطر أمني. ومن اللافت للنظر أن الذين تم إجراء المقابلات معهم على طرفي "الخط الأخضر" أيدوا وجهة النظر هذه. وعندما يتوقف تعريف الأقلية العربية بأنها "تهديد أمني"، سيكون في إمكانها أن تمارس تأثيراً أكبر في المجتمع اليهودي الإسرائيلي كشريك كامل في مجتمع ديمقراطي. وقد تنشأ فعلاً مصلحة مشتركة بين العرب واليهود من أجل تغيير اجتماعي وسياسي.

السعي للمساواة

يجري نضال العرب في إسرائيل على جبهتين؛ فداخلياً، هناك محاولة مستمرة لتحقيق الحقوق المدنية والسياسية. وإلى جانب ذلك هناك نضال لدعم حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم وحققهم في إنشاء كيان وطني.

وهناك ما يدعو إلى الاعتقاد أن العرب في إسرائيل يتوقعون في أغليبتهم أن يتمكنوا، بعد إقامة دولة فلسطينية، من التركيز على الشؤون المحلية، وخصوصاً نضالهم من أجل حقوقهم المدنية والديمقراطية. وهناك اعتقاد فحواه أن الأوضاع الجديدة ستوجد للأقلية العربية شروطاً أفضل وفرصاً جديدة من شأنها أن تساعدها في تحسين أوضاعها.^(١٦) وفي الحقيقة، قد يكون العرب في إسرائيل متفائلين أكثر من

Emile Tuma, "Reply to Nakhleh's Liberation Mentality," *New Outlook*, vol. 24 (١٦)

اللازم فيما يتعلق بالتغير الذي سيطراً على وضعهم كمواطنين إسرائيليين نتيجة قيام دولة فلسطينية، وفي توقعهم حدوث تحسن كبير سيجعل وضعهم مساوياً لوضع اليهود الإسرائيليين. ويجد المرء تأييداً لهذا التفاؤل في دراسة أجراها عزيز حيدر وأشار فيها إلى أن ٩٨٪ من الزعامة الفلسطينية في إسرائيل يوافقون على أن التسوية السياسية ستسهل حملتهم من أجل المساواة.^(١٧) ويقول راسم خمائسي إن عدم تطرق التسوية السياسية إلى العرب في إسرائيل يدل على اعتبارهم جزءاً مندمجاً في إسرائيل، وإن من المتوقع أن يركزوا على تحقيق المساواة مع المواطنين اليهود، وأن يعملوا ضمن النظام السياسي الإسرائيلي كي يؤثروا في القرارات السياسية في الدولة.^(١٨)

هناك ثقة واسعة الانتشار بأنه حالما يزول التهديد الأمني المزعوم لن يبقى هناك دوافع تبرر المواقف والتصرفات العنصرية. وبالتالي، فإن العنصرية ستتلاشى في إسرائيل. وذهب عضو الكنيست عبد الوهاب دراوشة، وهو من الحزب الديمقراطي العربي، إلى أبعد من ذلك عندما قال إن "من الواقعي توقع أن تصبح المجموعات السياسية العربية جزءاً من حكومة ائتلافية وأن يشغل أعضاء عرب في الكنيست مناصب وزارية."^(١٩) ولقد أظهرت الانتخابات الإسرائيلية سنة ١٩٩٢ واقعاً مغايراً عندما استثنى حزب العمل الأحزاب العربية من الائتلاف الحكومي، وقبل فقط بتأييدها من خارج الائتلاف، مع أن رئيس الحكومة يتسحاق رابين لم يكن قادراً على تأمين تأييد أغلبية لكل من اتفاق أوسلو - أ واتفاق أوسلو - ب من دون دعم العرب في الكنيست. ولا شك في أن نزع الشرعية هذه عن أصوات العرب وممثليهم واعتبارها غير مساوية للأصوات اليهودية يلقيان الضوء على التفرقة العنصرية التي تمارسها الدولة الإسرائيلية تجاه مواطنيها العرب.

وحتى ممثلو التيارات الأكثر راديكالية في الحركة السياسية العربية، مثل أبناء البلد، يوافقون على أن من الممكن أن تتسارع عملية الاندماج داخل إسرائيل في المستقبل، ولو أنهم يعتقدون أن ذلك سيكون جزءاً من استراتيجية إسرائيلية لإظهار وجه طيب إنساني لسكانها العرب، من أجل إجهاد أي ميل إلى الاتصال بالدولة الفلسطينية، واستباق أي مطالبات بحكم ذاتي إقليمي. ومنذ توقيع اتفاق أوسلو، انضم مزيد من أفراد النخبة الفلسطينية في إسرائيل إلى مؤسسة الدولة. وأضفت هذه العملية شرعية على اندماج الفلسطينيين في الدولة الإسرائيلية، وبالتالي همشت القضايا

(1981), pp. 30-33; Noam Chomsky, "The Arabs in Israel," *Monthly Review*, vol.

27, part II (April 1976), pp. 20-30.

(١٧) "يديعوت أchronوت"، ١٩٩٠/٦/٨.

(١٨) راسم خمائسي، "فلسطينيو الداخل والتسوية السلمية" (نابلس: مركز البحوث والدراسات

الفلسطينية، ١٩٩٤)، ص ١٠.

(١٩) مقابلة مع دراوشة، مصدر سبق ذكره.

السياسية القومية. ولم يكن مفاجئاً في مثل هذه الأوضاع أن تراجع حركة أبناء البلد برنامجها السياسي لتفسح في المجال أمام مشاركتها في انتخابات الكنيست. وقد ظهرت مؤخراً منظمة تحت اسم "الاتحاد الديمقراطي الوطني"، لها صلة بحركة أبناء البلد، أخذت تقوم بدور نشيط في تشكيل وتعبئة الائتلاف الناشئ حديثاً من القوى السياسية التقدمية الوطنية وأفراد في إسرائيل.^(٢٠)

ومن الواضح أن إسرائيل تبدي منذ توقيع اتفاق أوسلو موقفاً ليناً تجاه الحقوق المدنية للعرب في إسرائيل. فهم يتمتعون الآن بحرية أكبر في المجالين الفردي والجماعي. وتجري مناقشات واسعة تتعلق بالقضايا السياسية والاجتماعية للسكان العرب في إسرائيل. وقد انعكس هذا الاهتمام على الإعلام الخاص والعام بالعربية والعبرية. وعلاوة على ذلك، وجهت الحكومة جهوداً وأموالاً كبيرة إلى الأنشطة الثقافية والتعليمية للسكان العرب، على الرغم من الانتماء السياسي للمنتفعين.^(٢١)

وفي حال استمرار هذا التوجه، فمن الواضح أنه سيقوي دور الأحزاب السياسية العربية كأدوات لبلورة مطالب الإصلاح داخل المجتمع الإسرائيلي والدولة. وسيزيد ذلك في فرص تزايد التعاون بين هذه المجموعات والأحزاب والمجموعات الإسرائيلية اليهودية التي تدعو إلى الديمقراطية والسلام. وكجزء من هذا السيناريو، قد تظهر بين اليهود الشرقيين مجموعات جديدة تأخذ موقفاً مشتركاً إلى جانب العرب في إسرائيل.^(٢٢)

الاستراتيجية المزدوجة التوجه

من الاحتمالات التي يفكر بعض الإسرائيليين العرب فيها إمكان أن تنشأ في إطار حل سلمي للصراع العربي - الإسرائيلي أوضاع مواتية لهم للمطالبة - لأول مرة، بالإضافة إلى المطالب الحالية - بالاعتراف بهم كأقلية قومية. وهكذا، فإنه قد يبرز برنامج مدني/قومي مزدوج التوجه: توجه يركز على المطالب القائمة حالياً من أجل المساواة المدنية، مثل الميزانية والتطوير والخدمات؛ وتوجه آخر يركز على القضايا التي تتعلق بالعرب في إسرائيل كأقلية قومية.

منذ انفصال الفلسطينيين في إسرائيل عن إخوانهم من الشعب الفلسطيني سنة

(٢٠) "أبناء البلد" حركة وطنية فلسطينية نشأت في أوائل السبعينات في أم الفحم. وهي تتصور نفسها جزءاً لا يتجزأ من حركة التحرر الوطني الفلسطينية التي تقودها منظمة التحرير الفلسطينية. وهي قريبة سياسياً من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ولها تمثيل محدود في المجالس المحلية في القرى العربية في إسرائيل.

(٢١) عزيز حيدر، "التوجهات السياسية بين الفلسطينيين في إسرائيل" (نابلس: مركز البحوث والدراسات الفلسطينية، ١٩٩٥).

(٢٢) Shlomo Swirski, *Israel: The Oriental Majority* (London: Zed Books, 1989).

١٩٤٨، وإسرائيل تتمسك بسياسة إنكار الخصائص القومية الفلسطينية، وتتعترف فقط ببعض المقومات الدينية والثقافية. ومع ذلك، يوجد تباين بين مختلف المجموعات السياسية في إسرائيل في شأن النظرة إلى مفهوم "الأقلية القومية". وفي الإمكان الاطلاع على وجهتي نظر رئيسيتين:

١ - يجب الاعتراف بالعرب في إسرائيل، بصفتهم أقلية قومية فلسطينية، كجزء من الشعب الفلسطيني. وبصفتهم كذلك، يجب الاعتراف بحقوقهم الثقافية الوطنية وإحياء ميراثهم. ويعبر عن وجهة النظر هذه الحزب الشيوعي الإسرائيلي، والحزب الديمقراطي العربي، وأعضاء في حزب العمل، وأحزاب صهيونية يسارية أخرى. وهم يدعون إلى اندماج العرب في المؤسسة الإسرائيلية، وإلى المساواة بين العرب واليهود.

٢ - تأكيد السمات القومية للأقلية العربية، وأن الاعتراف بها كأقلية قومية سيقود حتماً إلى إعادة تشكيل إسرائيل كدولة ثنائية القومية. ويعبر عن وجهة النظر هذه حركة أبناء البلد، والقائمة التقدمية للسلام، وراديكاليون في القطاعين العربي واليهودي. وهم يدعون إلى إنشاء منظمات عربية مستقلة، وينادون بإدارة ذاتية إقليمية للشؤون الثقافية والاقتصادية للعرب في إسرائيل.

ومع أن قادة الرأي العام يعبرون في معظمهم عن آراء متشابهة، ويتفقون مع وجهة النظر القائلة إن الدولة الفلسطينية ستؤدي إلى تسريع عملية الاعتراف بالعرب في إسرائيل كأقلية قومية، فإنه ما زال من غير الواضح ما هو المقصود والمتوقع من مثل هذا "الاعتراف بالعرب كأقلية قومية". إنهم يشيرون إلى شكل من أشكال الحماية الدستورية لحقوق الأقليات في إسرائيل. ويذهب آخرون إلى أبعد من ذلك فيطالبون بضمانات دولية لحماية الأقلية العربية التي في إمكانها، وينبغي لها، أن تكون جزءاً من أي اتفاق سلام رسمي بين الفلسطينيين وإسرائيل؛ اتفاق يضمن حقوقهم السياسية والوطنية والمدنية كمواطنين إسرائيليين، وكجزء من الشعب الفلسطيني أيضاً.

إن إنشاء كيان فلسطيني، والاعتراف الممكن بالعرب في إسرائيل كأقلية قومية، لا بد من أن يثيرا بالضرورة مسألة كون إسرائيل دولة ثنائية القومية: لا دولة يهودية من أجل الشعب اليهودي، بل دولة لكل مواطنيها. وإذا ما تم السعي في هذا الاتجاه، ستنشأ في نهاية المطاف مطالبات بتعديل التشريعات المتعلقة بقضايا الجنسية والهجرة، بحيث تعكس سمة الدولة الثنائية القومية اليهودية - الفلسطينية. وكجزء من عملية التعديل هذه، سيكون هناك ضرورة لإعادة فحص دقيق لجميع الرموز القومية والاحتفالات والشعائر الدينية الحالية، لتجنب أي إساءة غير ضرورية لأي من الشعبين، اليهودي والعربي.

إن طرح مثل هذه القضايا فيما يتعلق بطبيعة إسرائيل كدولة يهودية ديمقراطية سيثير في النهاية جدلاً ويؤدي إلى استقطاب في وجهات النظر في إسرائيل. ويجب

الاعتراف بأن الأغلبية العظمى للأحزاب السياسية الإسرائيلية ترفض أي تغيير في المسائل الجوهرية المتعلقة بإسرائيل كدولة يهودية صهيونية للشعب اليهودي. وقد أكد رئيس الحكومة رابين أن الهدف الاستراتيجي من المفاوضات مع الفلسطينيين هو تحقيق فصل كامل بين الشعبين، وبالتالي المحافظة على إسرائيل كدولة يهودية. وأوضح مستشار حزب العمل السابق في الشؤون العربية، يورام كاتس، ومن دون تحفظ، أن "إسرائيل دولة يهودية ولن تتحول إلى دولة ثنائية القومية، وأن الخط الأحمر الذي لا نستطيع تجاوزه هو تغيير القوانين التي تكفل لليهود حق العودة والعيش في إسرائيل".^(٢٣) ومع ذلك، قد تؤدي عملية خفض التسلح وتخفيف الصبغة العسكرية، المتوقع أن يتبعها أي اتفاق سلام، إلى التشجيع على قبول التغيير. وقد تتم إعادة توجيه الموارد، المكرسة سابقاً لأغراض الدفاع والأمن، لتلبية حاجات السكان.^(٢٤)

وفي أي حال، فإن عقد اتفاق سلام بين إسرائيل والفلسطينيين والدول العربية سيكون خطوة أساسية نحو زوال "العدو". ومع زوال "التهديد الخارجي"، قد تنشأ مجموعات سياسية جديدة في إسرائيل. وربما يتشارك العرب مع اليهود الشرقيين في حملة مشتركة ضد التمييز. وقد أثار نعوم تشومسكي إمكان أن "تواجه مشكلات التفرقة والاضطهاد من جانب مجموعات داخل المجتمعين المتعاضدين.... قد تسعى لإقامة علاقات خارج الخطوط القومية".^(٢٥)

وخلاصة القول، يمكن أن نلاحظ بروز مقاربة جديدة لحل مسألة العلاقة بين الأقلية والدولة. وينطوي ذلك على استراتيجيا مزدوجة تشتمل على سياسات تكمل إحداها الأخرى بالضرورة. أولاً، هناك تركيز على المطالب اليومية المتعلقة بالمساواة: الميزانية، الخدمات، التطوير، مسألة الأراضي؛ ثانياً، هناك تركيز متزايد على القضايا المتعلقة بالعرب في إسرائيل كأقلية قومية، والتي هي في صميمها تعبير عن مطالبة بالاعتراف بالعرب كأقلية قومية، وعن مناداة بإجراء تغييرات في قوانين المواطنة والهجرة. ونتيجة ذلك، تثير هذه المطالب قضية إسرائيل كدولة يهودية.

مستقبل بديل متسم بالتشاؤم

لقد عبر العرب في إسرائيل أيضاً عن مخاوف من عملية تهميش متزايدة لهم ومن خطر ترحيلهم عبر الحدود.

(٢٣) Adam Keller, *Terrible Days* (Amsterdam: Cypress Press, 1987), Chapters 2-4.
(٢٤) مقابلة مع يورام كاتس، مستشار سابق في الشؤون العربية في حزب العمل، آب/أغسطس ١٩٩١.

Chomsky, op. cit. (٢٥)

ولمزيد من المناقشة، انظر:

Avi Palscov, *A Palestinian State? Examining the Alternatives*, Adelphi Papers, no. 163 (London: International Institute for Strategic Studies, 1981).

ويمكن معرفة ثلاثة أنماط رئيسية من المخاوف في إسرائيل:

- ١ - خوف إسرائيل من نزعة قومية توسعية للعرب داخل حدودها.
- ٢ - خوف العرب من "الترحيل".
- ٣ - خوف من تزايد عملية تهيمش العرب في إسرائيل.

النزعة القومية التوسعية (Irredentism)

إن النزعة القومية التوسعية كمصطلح تعني رغبة الدولة، أو الحزب، أو الشخص، في "أن تُضمَّ إلى أراضي الأمة تلك المناطق التي انتزعت منها، أو التي تدعي أنها انتزعت منها، أو التي يرتبط سكانها بالأمة عرقياً."^(٢٦)

وإسرائيل تتخوف من أن تثير الدولة الفلسطينية مطالبة بالسماح للمناطق المكتظة بالسكان العرب، وخصوصاً في وادي عارة والجليل، بأن تنفصل عن إسرائيل وتلتحق بالدولة الجديدة. وهكذا، فإن الأثر الممكن للكيان الفلسطيني في سلوك عرب إسرائيل السياسي يشكل مصدر قلق كبير لإسرائيل، التي ستقاوم بالوسائل كافة أي حركة انفصالية تهدد وحدة أراضيها. وفي هذه الأثناء، ستمنع إسرائيل ضم أي عدد من الفلسطينيين إلى نطاق سلطة الدولة الفلسطينية.^(٢٧) وحتى قبل أن تبدأ المفاوضات بشأن الوضع النهائي للمناطق المحتلة، اقترح بعض الإسرائيليين والفلسطينيين إمكان تبادل السكان وتعديل الحدود، حيث يتم ضم بعض القرى العربية القريبة من "الخط الأخضر" إلى الكيان الفلسطيني الجديد في مقابل التسوية. وقد رفض العرب في إسرائيل هذا الاقتراح بشدة.

الترحيل (Transfer)

هناك شعور عميق بين العرب في إسرائيل بأن الضغط عليهم للرحيل عن إسرائيل سيتزايد، وهم يخشون بدء عملية ترحيل لهم بعد قيام الدولة الفلسطينية. وهذا الإحساس نابع من تجربتهم خلال الانتفاضة، عندما واجهوا العداء والتحرير العنصري والمطالبة بترحيلهم من قطاع كبير من المجتمع الإسرائيلي والمؤسسة

Michael Harsgor and Maurice Stroun, *Israel and the Arab Palestinian State as Non-irredentist Entities* (Tel-Aviv: The International Center for Peace in the Middle East, 1989).

Jaffee Center for Strategic Studies, Study Group, *The West Bank and Gaza, Israel's Options for Peace* (Tel-Aviv: Tel-Aviv University, 1989), p. 97.

لمزيد من المناقشة بشأن هذه المسألة، انظر:

Mark Heller, *A Palestinian State: The Implications for Israel* (Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1983), pp. 106-108; Joseph Alpher, *Settlements and Borders: Final Status Issues: Israel-Palestinians*, Study no. 3 (Tel-Aviv: Tel-Aviv University, Jaffee Center for Strategic Studies, 1994).

الحاكمة. (٢٨)

إن السيناريو الأكثر تشاؤماً يتصور تسوية سياسية مع الفلسطينيين من شأنها أن تدفع الجناح اليميني في إسرائيل إلى مقاومة مثل هذه التسوية، الأمر الذي سيزيد في عملية الاستقطاب في المجتمع الإسرائيلي. وقد يكون مقتل ٢٩ فلسطينياً على يد مستوطن يهودي في الخليل في الحرم الإبراهيمي صباح الخامس والعشرين من شباط/فبراير ١٩٩٤، مؤشراً إلى ما قد يحدث في المستقبل. إن من شأن مثل هذه العناصر أن يستخدم مزيداً من العنف لتخريب الاتفاق. وقد لا يكون بعيداً عن الواقع التنبؤ بأن الجناح اليميني المتنامي سيوجه جزءاً من أعمال العنف التي يمارسها إلى المواطنين العرب في إسرائيل، وبأنه سيطالب بترحيل السكان العرب إلى الدولة الفلسطينية. وهناك إحساس عميق بالخوف من أنه في حال قيام دولة فلسطينية، فإن إسرائيل قد تنتهز الفرصة لاستئصال "السرطان العربي" من الجسم السياسي الإسرائيلي. ويمكن أن يؤدي هذا بدوره إلى قيام حرب أهلية وسفك الدماء في إسرائيل.

عملية التهميش

إن إنشاء كيان فلسطيني قد يؤدي إلى تهميش العرب في إسرائيل. ولفحص تأثير هذا الكيان في المجتمع الإسرائيلي، هناك مسألتان يجب أن تدرسا:

١ - استغلال إسرائيل لنزاعاتها الخارجية مع الفلسطينيين والبلاد العربية وسيلة للسيطرة على صراعاتها السياسية والاجتماعية الداخلية.

٢ - العلاقة المستقبلية بين إسرائيل والكيان الفلسطيني المشكل حديثاً.

إن الملاحظة الأولى التي سيتم إبدؤها تتصل بنمط "تصدير" إسرائيل صراعاتها الداخلية والعرقية والدينية والطبقية، على شكل عدوان على الفلسطينيين وجيران إسرائيل العرب. لقد استغلت إسرائيل "التهديد الخارجي من جانب العرب" للحفاظ على الوحدة الداخلية، ومن أجل السيطرة على صراعاتها الداخلية وتهميشها. ويعتقد بعض المراقبين أن المواجهات في أوائل السبعينات بين اليهود الشرقيين في الأحياء الفقيرة في القدس وتل أبيب، التي قادها تنظيم الفهود السود للمطالبة بالمساواة الاجتماعية والاقتصادية، خمدت بدرجة كبيرة عندما اندلعت حرب سنة ١٩٧٣ بين إسرائيل والدول العربية. لكن فعالية هذه المقاربة ضعفت منذ العقد الماضي أو أكثر قليلاً.

ولقد استطاعت إسرائيل، طوال أعوام كثيرة، المحافظة على مظهر الوحدة الوطنية الاجتماعية والسياسية بتصويرها إسرائيل محاصرة، مجتمعاً ودولة، من جيرانها العرب. وكان الفلسطينيون، بصورة خاصة، يُصوِّرون بأنهم يحاولون دائماً تدمير

Marwan Darweish, "Palestinians in Israel: The Impact of the Intifada," in *Living the Intifada*, by Andrew Rigby (London: Zed Books, 1991), pp. 203-220.

إسرائيل. وكان هذا التهديد الخارجي يحفظ الوحدة المفروضة على مجتمع منقسم. وقد أدى توقيع اتفاق السلام بين إسرائيل والفلسطينيين، إلى جانب إقامة علاقات دبلوماسية ببعض الدول العربية، إلى تراجع الخوف من "التهديد الخارجي" الذي وحد إسرائيل عدة أعوام. وعجلت حالة "اللاحرب" النسبية هذه في ظهور التناقضات التي تتخذ الآن شكل معارضة لعملية السلام.

ومنذ سنة ١٩٩٣، خطا حزب الليكود، الذي قاد حملة العنف والتحريض هذه، خطوات كبيرة في اتجاه اليمين، إلى حد أصبح معه تمييزه من اليمين المتطرف أمراً صعباً. وقد وظف الجناح اليميني، الذي يقوده بنيامين نتنياهو وأريئيل شارون ورحبعام زئيفي وآخرون، جهوداً هائلة لنزع الشرعية عن الحكومة الحالية [حكومة العمل] وإسقاط الائتلاف بين حزب العمل وميرتس. ويدعي هؤلاء أن الحكومة لا تتمتع بتأييد أغلبية الشعب الإسرائيلي، وأن لا شرعية لحكومة يهودية تعتمد على تأييد أعضاء الكنيست العرب. وأبدوا معارضتهم للحكومة، ولرابين بصورة خاصة، واصفين إياه بالخائن والقاتل الذي يعرض الدولة اليهودية والشعب للخطر. وظهرت فتوى دينية وصلوات تدعو الجنود إلى رفض تنفيذ الأوامر الداعية إلى إجلاء المستوطنين، وتدعوهم إلى التصدي لسياسة الحكومة التي خانت الأيديولوجيا اليهودية الصهيونية. ورفعت في مسيرات وتظاهرات الجناح اليميني لافتات صورت رابين ضابطاً في الجيش النازي. وفي مناخ التحريض على القتل هذا، كانت المسألة مسألة وقت فقط قبل أن يضغط أحدهم أصبعه على الزناد. ومن قبيل المفارقة أن السلام، لا الحرب، هو الذي ساهم في الهيجان الاجتماعي والسياسي في المجتمع الإسرائيلي.^(٢٩)

إن توقيع اتفاق سلام بين إسرائيل والفلسطينيين، وانخفاض التهديد الخارجي إلى حدود دنيا، قد يجعلان العرب في إسرائيل "العدو الجديد" - لخلق وحدة داخل المجتمع الإسرائيلي. وهكذا، فقد يصبح العرب في إسرائيل كبش الفداء الجديد. وقد يُنظر إليهم أنهم عدو من الداخل، وخونة لمصلحة الدولة الفلسطينية، ولا يكونون ولاء لإسرائيل.

وتلقى وجهة النظر هذه تأييداً من إيان لوستك، في كتابه "العرب في الدولة اليهودية"، الذي يقول فيه إن أي مطالب للقيام بدور نشيط أكبر ومشاركة أوسع في الموارد من أجل التنمية في القطاع العربي سيتم رفضها نهائياً. وهذه المطالب ستصبح أكثر إلحاحاً إذا اتضح أن الفلسطينيين العرب من أبناء الشعب نفسه عبر الحدود يتمتعون ضمن المجتمع بمناصب عليا في الخدمة المدنية والسياسة

(٢٩) مروان درويش وسمير عوض، "ثوران في المجتمع الإسرائيلي"، جريدة "القدس"، ١٩٩٥/١١/٨.

والمؤسسات الأكاديمية.^(٣٠) والعرب في إسرائيل يشعرون بخوف عميق من أن تسعى إسرائيل جاهدة لطمس هذه المطالب، ولا سيما أنه يتوفر لديها جهاز عسكري واستخباراتي ضخم، درب فيما مضى للسيطرة على المناطق المحتلة، ويمكن استخدامه ضد سكانها.

ويرفض اليسار الليبرالي والمسؤولون في إسرائيل هذه النظرية رفضاً قاطعاً، ويعتبرون أنها نابعة من عقدة جنون الاضطهاد. لكن لمعظم حالات هذه العقدة جذوره وأساسه في الواقع. وليس من الشطط تخيل سيناريو ترى إسرائيل فيه أن إقامة الدولة الفلسطينية تنطوي على تنازل كبير من جانب إسرائيل. وكنتيجة، وكردة فعل على ذلك، قد يبذل جهد خاص لتأكيد الطبيعة الصهيونية اليهودية القومية لدولة إسرائيل، وبالتالي تهميش الإسرائيليين العرب أكثر فأكثر. وقد أعرب مدرس عن اعتقاده "أن انسحاب إسرائيل من الضفة الغربية وقطاع غزة سيعزز هويتها الصهيونية اليهودية ويسبب مزيداً من التمييز ضد المواطنين العرب."^(٣١)

ويتفق الإسرائيليون والفلسطينيون على جانبي "الخط الأخضر" على أن طبيعة العلاقة بين الدولة الفلسطينية وإسرائيل ستحدّد بدرجة كبيرة سياسة إسرائيل تجاه مواطنيها العرب. ومن الممكن أن ينشأ عدا، وأن يؤدي ذلك إلى ازدياد حدة التوتر بين العرب واليهود في إسرائيل ويحدث تأثيرات سلبية. ومن ناحية أخرى، فإن قيام دولة فلسطينية قومية وغير ديمقراطية يمكن أن يستفز القوى الديمقراطية والتقدمية في إسرائيل، بمن فيها العرب، ويؤدي إلى نشوء هوة بين شطري الشعب الفلسطيني. وقد أثار إغلاق الصحف والاعتقال من دون محاكمة، وموت مشتبه فيه خلال الاستجواب، انتقاد العرب في إسرائيل للسلطة الوطنية الفلسطينية. وعبر تلميذ في المرحلة الثانوية بوضوح عن ذلك بقوله إن "قيام دولة فلسطينية غير ديمقراطية، مثل بعض الدول العربية الأخرى، سينفر الجميع ويقوض وضعنا كفلسطينيين في إسرائيل."^(٣٢)

أمّا وجهة النظر الإسرائيلية الرسمية، فهي أن العرب في إسرائيل ليسوا جزءاً من الحركة الوطنية الفلسطينية، بل هم مواطنون إسرائيليون. وفي الواقع، فإن الأوضاع الحالية سهلت أسرلة العرب، ومنحت الأحزاب الصهيونية شرعية العمل داخل الوسط العربي، وساعدت في قبول وجهات نظر سياسية كانت فيما مضى تعتبر تعاوناً مع السلطات الإسرائيلية. وخلال العامين الفائتين، أعادت الأحزاب الصهيونية تنظيم نفسها في القرى العربية، وأنشأت حركات شبابية جديدة تابعة لميرتس ومبام وحزب

Ian Lustick, *Arabs in the Jewish State: Israel's Control of a National Minority* (٣٠) (Austin: University of Texas Press, 1980), pp. 237-271.

(٣١) مقابلة مع غانم حبيب الله، مدرّس، تموز/ يوليو ١٩٩١.

(٣٢) مقابلة مع تلميذ عربي في مدرسة ثانوية في الطيبة، آب/ أغسطس ١٩٩٥.

العمل كان لها دور بارز في الانتخابات المحلية العربية.^(٣٣)

العلاقات بالكيان الفلسطيني

إن المحصلة السياسية للتسوية بين إسرائيل والفلسطينيين ستتضمن بالضرورة قبول وجود إسرائيل، الذي وُضع الأساس له في اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٨، وفي اتفاق أوسلو المعقود في أيلول/سبتمبر ١٩٩٣. وهكذا، فإننا سننطلق من القبول المتبادل لمبدأ الدولتين المستقلتين، فلسطين وإسرائيل، لمحاولة استكشاف العلاقة المستقبلية المحتملة بين الفلسطينيين في إسرائيل ودولة فلسطين.

هناك وجهتا نظر رئيسيتان بشأن ما يمكن أن يتوقعه العرب في إسرائيل من الكيان الفلسطيني المتشكل حديثاً: أولهما تتوقع قيام علاقات بناءة ومساندة متبادلة، وثانيتهما تبدي تحفظات وتلزم جانب الحذر في توقعاتها إزاء هذه الدولة الجديدة.

وترى وجهة النظر الأولى بوضوح أن العرب في إسرائيل سيوفرون جسراً يساهم في إقامة صلات بين فلسطين وإسرائيل وتشجيعها. وصلة القربى بين الفلسطينيين في كل من إسرائيل وفلسطين ستوفر للدولة الفلسطينية وسيلة جاهزة لإقامة علاقات عمل مع إسرائيل.. وهكذا، سيكون للعرب في إسرائيل دور مركزي في تطبيع العلاقات بين البلدين. ويضاف إلى ذلك أن الفلسطينيين قاموا منذ اتفاق أوسلو بدور مركزي كوسيط بين الفلسطينيين أنفسهم. إذ قام عبد الله نمر درويش وأحمد الطيبي، وهما فلسطينيان من إسرائيل، بدور الوسيط بين "حماس" والسلطة الوطنية الفلسطينية، وتوصلاً إلى عقد اتفاق بين الطرفين. كما أنهما سهلا إطلاق قياديي "حماس" من السجن في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٩٥.

ولقد طور الفلسطينيون على جانبي "الخط الأخضر"، خلال العقدين الماضيين أو أكثر، علاقات سياسية وثقافية واجتماعية فيما بينهم. وهم يشاركون في أنشطة ولقاءات سياسية في المناطق المحتلة وإسرائيل معاً. وعلى الصعيد الثقافي، يقومون بالكتابة والنشر في الصحف والمجلات الصادرة في الجانبين، ويشاركون في الأنشطة المسرحية والفنية هنا وهناك. وعلى الصعيد الاجتماعي، يحرص الأقارب وأفراد العائلات على الاتصال بعضهم ببعض. ومن الممكن أن تستمر أشكال الاتصال هذه بعد قيام دولة فلسطينية، بل قد تتعزز بفعل التلفاز والمذياع وأجهزة تكنولوجية أخرى سيكون لها دور مهم.

في العام الدراسي ١٩٨١/١٩٨٢، كان هناك ٦٦ طالباً من العرب في إسرائيل

(٣٣) حيدر، مصدر سبق ذكره.

يدرسون في المؤسسات التعليمية العليا في الضفة الغربية. وكان معظمهم يدرس الدين الإسلامي نظراً إلى انعدام الفرص الملائمة لذلك في إسرائيل. ويوجد في الوقت الحاضر نحو ٣٥ أستاذاً جامعياً من إسرائيل يعملون في جامعات الضفة الغربية. ومن المرجح أن يرتفع هذان العددان في حال تحقق السلام في المستقبل.^(٣٤)

ومن المثير للاهتمام أن نلاحظ أن لعامة الناس، مقارنة بالشخصيات الاجتماعية والسياسية العربية في إسرائيل، توقعات كبيرة أن الدولة الفلسطينية ستدعمهم في حملتهم السياسية والمدنية في إسرائيل. ويعتقد أحد المراقبين أن من المنطقي والواقعي أن تدعم الدولة الفلسطينية الفلسطينيين في إسرائيل في نضالهم، ولا سيما أنها ستكون واعية للدور الذي قام به العرب في إسرائيل بتأييدهم قيادة دولة فلسطينية.

وفي المقابل، فإن بعض الفلسطينيين في إسرائيل، في الأساس شخصيات سياسية واجتماعية، يتوقع القليل من ناحية الدولة الفلسطينية، ويتوقع تدخلاً أقل في شؤونه، ويميل إلى الاعتقاد أن الكيان الفلسطيني الجديد سيكون منهماكاً في مشكلاته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الداخلية، وأن العرب في إسرائيل سيتركون على الهامش ولن يجري وضعهم في سلم الأولويات. ولقد أصرت إسرائيل على أن مسألة العرب في إسرائيل شأن إسرائيلي داخلي، وأنه لا يحق لمنظمة التحرير الفلسطينية أن تتدخل فيه. وقبلت منظمة التحرير الفلسطينية ذلك في الوقت الحاضر ولم تحاول التشكيك فيه.

أما السيناريو الإيجابي، فيتصور نشوء وضع تتقارب فيه الدولتان المنفصلتان (فلسطين وإسرائيل) ثقافياً وسياسياً واقتصادياً. وسيكون لحدوث ذلك تأثير إيجابي في إسرائيل وجيرانها، وسيتمكن إسرائيل من التحرك بالتدرج بعيداً عن العدوان والعزلة لتندمج في الشرق الأوسط.

وبحسب شروط اتفاقات السلام بين فلسطين والأردن وإسرائيل، فإن التعاون الاقتصادي سيكون جزءاً من المكونات الأساسية لهذه الاتفاقات. وسينظر إلى عمليات التطوير المشتركة، مثل الموانئ والمطارات والمشاريع الصناعية والمشاريع التعاونية الإقليمية، على أنها الأساس في مثل هذا التعاون.^(٣٥) ويعتقد البعض أن العرب في

Kamal Abdulfattah, "The Geographical Distribution of the Palestinians on both (٣٤) Sides of the 1949 Armistice Line," in *Palestinians Over the Green Line*, edited by Alexander Scholch (London: Ithaca Press, 1983), p. 108.

Palscov, op. cit., pp. 34-35. (٣٥)

لمناقشة مفصلة، انظر:

George Abed, *The Economic Viability of a Palestinian State* (Washington, D.C.: Institute for Palestine Studies, 1990).

إسرائيل سيستفيدون من هذه المشاريع، وخصوصاً في مجال السياحة. فقد يجذب ذلك أكثر من مليون حاج في السنة، وخصوصاً أولئك الذين سيأتون من الدول الإسلامية وسيتمكنون من زيارة القدس أول مرة. وسيتمكن الموظفون السياحيون في الضفة الغربية وقطاع غزة من التعاون مع فلسطينيين من إسرائيل على تنظيم رحلات على جانبي "الخط الأخضر".

أما الأكاديميون الفلسطينيون، فإن معظمهم يحمل تصوراً متشائماً فيما يتعلق بالتأثير الاقتصادي للكيان الفلسطيني على العرب في إسرائيل. وهذا التصور مغاير لتصوير عامة الناس ورجال الأعمال. وهناك تخوف من أن يصبح العرب في إسرائيل وسطاء لإسرائيل في العالم العربي وفلسطين أو العكس بالعكس، وتخوف من أن تستفيد فئة صغيرة فقط من أصحاب الأعمال من هذا الدور. كما يعتقد آخرون أن تأثير العلاقة الاقتصادية بين إسرائيل وفلسطين سيزيد في مشكلة البطالة بين العرب في إسرائيل، نظراً إلى رخص اليد العاملة القادمة من فلسطين. وسيتأثر المحصول الزراعي العربي في إسرائيل، نظراً إلى الإنتاج القليل التكلفة الوارد من فلسطين. ومع ذلك، يجب التشديد على أن معظم الحجج في المجال الاقتصادي ينقصه ما يدعمه واقعياً.

ويرتبط بالسيناريو الأول أمل بإمكان بروز حقبة جديدة في علاقات إسرائيل بالعالم العربي. والتعاون الاقتصادي والثقافي عبر الحدود سيشجع التعاون السياسي أيضاً، بحيث تتمكن القوى الداعية إلى التغيير الاجتماعي والسياسي في المجتمعين من تطوير إطار عمل جديد مبني على أساس علماني ديمقراطي لا على أساس ديني قومي. وقد يقوم العرب في إسرائيل بدور في هذه العملية، يتمثل في تحولهم إلى جسر بين إسرائيل وفلسطين والأقطار العربية الأخرى. وسيستمد العرب في إسرائيل فائدة كبيرة ملموسة من أي تحسن يطرأ على العلاقات بين إسرائيل والعالم العربي. وسيكون في إمكانهم زيارة الدول العربية أول مرة منذ سنة ١٩٤٨.

الخلاصة

خلال العقدين الماضيين، أصبحت فكرة إنشاء كيان فلسطيني في المناطق المحتلة منذ سنة ١٩٦٧ أكثر قبولاً لدى الفلسطينيين وسائر العالم. كما كانت موافقة العرب في إسرائيل، في أغليبتهم العظمى، على حل الدولتين اعترافاً بوضعهم الحالي والمستقبلي كمواطنين إسرائيليين.

أما فيما يتعلق بمخاوف إسرائيل من النتائج المحتملة لقيام دولة فلسطينية إلى جوارها، فإن بعض الإسرائيليين ينظر إلى مثل هذا الكيان على أنه خطر أمني محتمل ومصدر لعدم الاستقرار. ومع ذلك، يعترف آخرون بحاجة الفلسطينيين والإسرائيليين

إلى العيش بسلام وبضرورة الاعتراف بذلك. إذ كي تشعر إسرائيل بالأمان ويتم قبولها في الشرق الأوسط، من الضروري أن تلبى حقوق الفلسطينيين القومية والإنسانية. وفيما يتعلق بتأثيرات قيام دولة فلسطينية بالنسبة إلى العرب في إسرائيل، هناك اعتقاد قوي فحواه أن مثل هذا الحل سيكون له تأثير نفسي وعاطفي مهم في اعتزازهم وهويتهم، وأنه ربما يشجع اندماجهم في إسرائيل. وقد تساهم هذه الأوضاع الجديدة بدرجة كبيرة في خفض التوتر بين العرب واليهود في إسرائيل، ومن الممكن أن تساعد في تطوير التفاهم والثقة المتبادلين. وبدلاً من أن ينظر إلى العرب في إسرائيل من خلال عدسة الأمن فقط، فقد يعاملون كمواطنين متساوين.

ومن الممكن أن يحول الانخفاض النسبي في حدة "التهديد الخارجي" الاهتمام في المجتمع الإسرائيلي من التركيز على القضايا الأمنية إلى التركيز على المشكلات الداخلية. ومن هنا، فقد تتخذ القضايا العرقية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، إلى جانب القضايا الدينية العلمانية، مظاهر جديدة. إن تشكيل أحزاب يهودية على أساس عرقي، مثل حزب لافي اليهودي الشرقي وحزب شيرانسكي اليهودي الروسي، سيشجع عملية الاستدارة والتحول إلى الداخل. وهذه مرحلة مهمة في اتجاه تعاضد قوة مثل هذه الجماعات السياسية، وإضفاء الشرعية على حق المطالبة بأن تكون إسرائيل دولة متعددة الثقافات والأعراق واللغات، أو دولة ثنائية القومية.

إن العرب في إسرائيل يعتقدون، في أغلبيتهم العظمى، أن هذا التغيير في الأوضاع سيمهد الطريق أمام أوضاع أفضل لهم في النضال من أجل مساواة مدنية وسياسية. وقد تبرز استراتيجيات ذات توجهين: توجه يركز على المطالب المدنية، مثل الخدمات والتطوير والميزانية، وتوجه يركز على الاعتراف السياسي بالفلسطينيين في إسرائيل كأقلية قومية، ويطالب بتغيير قوانين الجنسية والهجرة. ونتيجة ذلك، سيبدأ نقاش بشأن طبيعة الدولة الإسرائيلية: دولة يهودية، أم دولة لكل مواطنيها؟

ثمة أكاديميون فلسطينيون في إسرائيل وقادة سياسيون يعتقدون أن تأثير العملية السلمية سيشجع على أسرلة العرب في إسرائيل. وهم ينتقدون عملية دمج العرب في إسرائيل، لكنهم لا يساهمون في توضيح ما هي الأسرلة. فبعد ضغط متواصل على الحكومة، وافقت وزارة التعليم على خطة يتم بموجبها توظيف ٢٠٠ أكاديمي عربي في مختلف مؤسسات وجامعات الدولة على مدى العامين المقبلين. هل يمكن النظر إلى هذه الخطوة على أنها عملية دمج ينبغي للعرب في إسرائيل أن يرفضوها، أم أنها مجرد زيادة في فرص العمل يجب تعزيزها عن طريق تنظيم حملات مؤيدة لها؟ إن العرب في إسرائيل يريدون أن يندمجوا في الدولة، وأن يحصلوا على الاعتراف بحقوقهم السياسية والمدنية كأقلية قومية في إسرائيل، لكن يجب أولاً التوصل إلى تعريف واضح يميز الاندماج من الذوبان. إن النتيجة السياسية لأوسلو -

أ وأوسلو - ب تستوجب تفحصاً جديداً للقضايا الأساسية التي تتعلق بالعرب في إسرائيل وعلاقتهم بالدولة.

وهناك رؤية للمستقبل أكثر تشاؤماً. فثمة مخاوف من أن تثير دولة فلسطينية مطالب انفصالية بين العرب في إسرائيل بما يلحقهم بالدولة الجديدة، وهناك خشية لدى السكان العرب أن يصبحوا "كبش فداء" بصفتهم "عدواً داخلياً". ■

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
<http://www.palestine-studies.org/ar/mdf>